إبداع الوعي الفردي، فإنه مع ذلك، كما يلاحظ «ميشال أكوتورييه»، لا يُلغي أي دور للفرد في عملية الابتكار والمساهمة في بلورة الوعي، بل على العكس، إن الفرد من خلال الكلمة يُؤسِّس ذاته بواسطة وجهات نظر الآخرين. يقول «باختين»:

«إنني داخل الكلمة أشكل ذاتي من خلال وجهة نظر الآخرين، وفي نهاية المطاف، فإنني أشكل ذاتي من وجهة نظر الجماعة»(150). لأن الوعي الفردي نفسه لا يُخْلَقُ في ذهن الفرد ـ حسب «باختين» ـ بل في مسار التواصل الاجتماعي لمجموعة بشرية مُنَظَّمة(150). ويمكن توضيح المكان الحقيقي الذي يُمَثِّله الوعي بين الفرد والجماعة، وفق تصور «باختين» من خلال الخطاطة التالية:

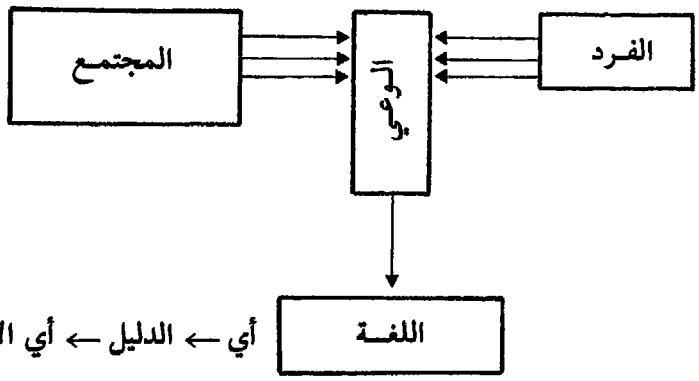


أي ← الدليل ← أي الإديولوجيا.

فالوعي ينشأ فقط في اللحظة التي يحتكُّ فيها الفرد بالجماعة. وإنّ كَوْنَ الوعي الفردي عند «باختين» لا يتشكل إلا داخل/وبالوعي الجماعي، هو ما جعله يتبنى نظرة خاصة للنص الروائي. وقد بلور آراءه في هذا الموضوع باحتكاكه الخاص بأعمال «دوستويفسكي» (Dostoievski)، إذ وجد أن هذا الروائي أحدث ثورة تعادل الثورة «الكوبيرنيكية» في مجال الكتابة الروائية(151). فبعد سيادة ما سَمَّاهُ: الرؤية المونولوجية (Monologique)؛ ويقصد بها هيمنة الكاتب على عالمه الروائي، وتقديم شخصياتٍ ذات وعي مطابق لذاتها، ولمظهرها الخارجي، جاء «دوستويفسكي» ليقدم الشخصية الفردية على حقيقتها، أي انطلاقاً من وضعها في المجتمع، فهي موجودة في وعي الآخرين، وكائنة فيهم أو على الأقل كائنة بواسطة تفاعلها مع الجماعة البشرية. يقول «باختين» بصدد توضيح وضع البطل في روايات «دوستويفسكي».

---

(150) **Esthétique et théorie du roman.** P. 13.

انظر مقدمة ميشال أكوتورييه على الأخص.

(151) M. Bakhtine: **La poétique de Dostoievski.** T. du russe par Isabelle Kolitcheff. Seuil. 1970. P. 85.